الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين في العصر الحاضر
رسالة شعره[1]

للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

— ٢ —

ثالثاً : ومن معالم رسالة شعر اقبال التعميم . فدعوة رسالته لا تخص طبقة دون طبقة بل تشمل نوع الانسان بأجمعه . وتسعى لتحويل العالم الانساني الى كتلة واحدة . وذلك لانهُ من ابناء الدين الذي من تعاليمه « الخلق عيال الله ،فأحب الخلق الى الله من احسن الى عياله[2] »وبناء عليه فمن اهم مبادىء الحب العام وكراهة الفروق الجنسية والدموية وتميز الالوان والاوطان قال :

« ان التميز الجنسي والقانوني قد أباد الشعوب
فهل يعرف اهل وطني ذلك ويفكرون فيهِ
فلا يكون لساني مقيداً بلون خاص
فليكن نوع الانسان شعبي والعالم وطني »

وقال ايضاً : « لسنا من الافغان ولا الترك ولا التتار
اتا ولدنا في الحديقة ومن غصن واحد
ان تميز اللون والرائحة علينا حرام
لاننا ترعرنا في ربيع واحد »

ولا يختص حب اقبال بنوع الإنسان فقط بل هو يحنو على غير ذوي الارواح كذلك . قال :

« اذا صدم الهواء ورقة الورد
فالآ يقطر دمعة من عيوني »

يرى اقبال ان وجود الفرد وجود اعتباري . فاذا اجتمع الافراد وأنشأوا لانفسهم اجتماعاً خاصاً يزدادون قوة ، ويتوفرون هيبةً ، ويتضاعفون ثقةً ،وينالون به قسطاً وافراً من

(١) راجع مقتطف فبراير صفحة ١٧٦ فقد كتبت هذه المقالة على ذكر استقبال بكرسم الشاعر عند بلوغه سن الستين في ٩ يناير سنة ١٩٣٨ ميلادية اقاني عمره (٢) من الاحاديث النبوية

التقدم لا يقدر الفرد ان يبلغهُ في حالة الانفراد . ولا اجتماع عنده اشد ارتكازاً ، واقوى اسباباً ، وأثبت قواعد ، وأرسى دعائم من الذي ثبتت وطائده وتأكدت اواخيه بوحدة الدين ، ووحدة الفكر ، ووحدة الغاية . ويرى ان الاجتماع الاسلامي من هذا العنف . وان اعظم خطر يهدد هذا الاجتماع في العصر الحاضر هو نبذ الروح الديني الذي كان اساس التكوين لوحدته ، وخوض افراده غمار التعصب الوطني والجنسي الذي تعلموا أساليبهُ من الغرب لذلك يخاطبهم :

« ان شعبكم بالدين فاذا ذهب الدين ذهبتم
لانهُ اذا لم يكن هناك التجاذب لم يكن محفل الأنجم »

وقال أيضاً : « ان الدين اذا ملص ذيله من اليد فلا رابط هناك
واذا ذهب الرابط ذهبت الامة . »

وقال ايضاً : « لا تقس أمتك على أمم الغرب
لان نظام أمة الرسول الهاشمي خاص
ان اجتماعهم ينحصر في الملك والنسب
ولكن اجتماعك يستحكم بقوة الدين »

وقال ايضاً : « كل من يختار فرق اللون والدم يفني
سواء أتركياً كان أم راحلاً ام عربياً شريفاً
ان نسب المسلم اذا قدم على الدين
طرت انت من هذا العالم مثل غبار الطريق . »

وقال ايضاً : ان الافتخار بالنسب جهل
لان حكمه على الجسم والجسم فانٍ . »

يرى اقبال ان ليس في العالم نظام اجتماعي يضمن حرية الفرد التامة كما يضمنها نظام الاجتماع الاسلامي . فالفرد ينال حريته الكاملة بغير بذل اي جهد حالاً عند دخوله فيه . لان من أهم مبادئه الاساسية « إن الحكم الا لله » و « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » . لذلك يخاطب المسلم :

« لاتهن فطرتك الحرة بالعبودية (أيها المسلم)
انك لو اخترت برهمن[1] لك سيداً فأنت أكفر منهُ
ان المسلم ليس بعبد لأحد سوى الله
فرأسه لا يخضع لفرعون ما . »

وهو يعتقد ان المسلم لو يصبح مسلماً حقيقياً لا يمكن ان تتدنسهُ غمرة اي قوة مهما يكن

(١) لقب الرئيس الديني في الديانة الوثنية الهندية

جمعها وتدوسهُ شدَّة اي سطوة مهما يكبر شأنها . فان التاريخ شاهد على ان عدداً قليلاً من أهل البادية بغير ان يكون لهم عدَّة كافية وأهبة شاملة أو سلطة منظمة دوَّخوا العالم بقوتهم الروحانية واتحادهم الديني . لذلك يقول :

ما الذي أباد استبداد قيصر وكسرى ؟
انهُ قوة حيدر وفقر أبي ذر وصدق سلمان
هل يمكن لاحد أن يقدر قوة المؤمن
ان القدَر يتغير بنظر الرجل المؤمن »

وقال أيضاً : « إن رُحلة المسلم وراء السماء الزرقاء
انت القافلة التي ذرَّات طريقها النجوم »

وقال أيضاً : « انت يد الله (العليا) ولسانهُ (الصادق)
اجعل (في نفسك) اليقين ايها الغافل ! لانك مقلوب الظن .

رابعاً : ومن معالم رسالة شعر اقبال الدعوة الى الاعتماد على النفس . فان أكبر داء الشرق عامة والمسلمين خاصة فقدان عزة النفس وضياع علوّ الهمة وعدم القصد لجسام الامور فأصبح الرضا بالذلة شعارهم والصبر على الهوان دثارهم . لذلك يخاطبهم :

« اعرف حقيقتك أيها الزارع
لانك أنت الحب ، وأنت المزرعة ، وأنت الماء ، وأنت المحصول
هل ترتعش قلبك من خوف الطوفان ؟
مع أنك انت الرُبان ، وأنت البحر ، وأنت السفينة ، وأنت الساحل
وا أسفاه على جهلك ! لانك اصبحت محتاجاً الى الساقي
مع انك أنت الخمر وأنت الدِنُّ ، وأنت الساقي ، وأنت المحفل . »

وقال أيضاً : « كن حياً واحرق القش من سوى الله
لم تخاف من الباطل ؟ انك أنت المبيد له . »

وقال أيضاً : « اعرف أصلك أيها الغافل !
لانك وان كنت قطرة ولكنك غير محدود مثل البحر
إن المدة التي يمكن أن يفتح بها العالم بغير السيف والمدفع
لو تفهم فتلك المدة [1] في حوزتك
لمَ أنت اسير طلسم اللاشيء ؟

(١) يريد به القرآن وقوة الايمان به

أنظر (الى نفسك) لان عظمة الطوفان فيك مخفية »

وقال ايضاً : « انت مسلم ! فسّر صدرك بالاماني
واجعل مطمح نظرك في كل زمان « لا يخلف الميعاد »

وقال ايضاً : انظر الى نفسك ، لم تشتكي من العالم ؟
انك لو غيرت نظرك فالعالم يتغير لك . »

وقال ايضاً : « انت غمضت عيونك وقلت ان هذا العالم حلم
افتح عيونك فان هذا الحلم حلم اليقظة . »

وقال ايضاً : « ليس ذلك العاشق الذي يحرك شفتيه للتأوه (من ألم الحب)
ان العاشق هو الذي يحمل العالمين على كفه
ان العاشق هو الذي يخلق العالم لنفسه بنفسه
ولا يرضى بالعالم المحدود . »

خامساً : ومن معالم رسالة شعر اقبال الدعوة الى محاربة الجمود والجحود . اما الجمود فان لكل زمن مقتضياته وضروراته . والزمن يتغير . فمقتضياته وضروراته ايضاً تتغير . ولذلك فالجمود او الاستمرار على حالة واحدة واهمال دواعي الحال ومطالب الزمن عنده من اكبر العوائق في سبيل التقدم الانساني . وهو يعتقد ان القرآن ما دام ينبوع الهداية للانسان فهو يقدر ان يخلق له عالماً جديداً على حسب الاحوال والدواعي في كل مكان وزمان ويهدي الحياة الانسانية في جميع الاحوال لذلك يقول :

اهدم القديم واقدم على بناء الجديد
فان كل من بقي في ورطة « لا » لم يصل الى « الا » [1]

وقال ايضاً : « بكل نَفَس نخرجه غيّر العالم
وامض في هذا الرباط القديم كالزمن »

وقال ايضاً : « ايها الشاهين ! أخشى انك اخترت السكن في الحديقة
لان هواءها يجعل جناحيك عاجزين عن الطيران . »

وقال ايضاً : « اعبر نهر المجرة [2] واجتز زرقة السماء (ولا تُقيم)
فان القلب يموت بالاقامة وان كانت في القمر »

وقال ايضاً : « لو كان في قلبك عالم جديد فأت به
فان الافرنج قد وقعوا ضحية جروحهم الخفية »

(يتبع)

(١) اشارة الى كلمة التوحيد « لا اله الا الله » (٢) مجموعة النجوم في السماء